حق الجار (٢)

عباد الله، مازلنا مع هذا التشريع العظيم الذي يظهر فيه ملامح النظام الاجتماعي المتكامل الذي يحرص على بنيان المجتمع وتماسكه بحيث يقف فيه القوي بجوار الضعيف، والصحيح مع السقيم، والغني مع الفقير، ألا وهو: حق الجيران.

وقد تكلمنا في الخطبة الماضية وعلمنا كيف حث الشرع الحنيف على هذا الحق العظيم.

وعلمنا أن أداء هذا الحق يختلف على حسب العصر، وذلك لاختلاف تعريف الجار حسب كل عصر، فما تعارف الناس عليه عرفا فهو الجار.

وعلمنا عباد الله كيف اهتم القرآن الكريم بهذا الحق، حتى إن الله تعالى قرنه بتوحيده قائلًا: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ (النساء: ٣٦).

ثم علمنا أن حق الجار يتمثل في قسمين؛ أولهما: الإحسان إلى الجار، والثاني: عدم إيذاء الجار وتحمل أذاه.

أما القسم الأول، وهو الإحسان إلى الجار، فقد جعله الشرع من الإيمان حتى إن الرسول ﷺ قال: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**)[1]، وعلمنا أن من علامات إرادة الخير بالعبد أن يحسن إلى جيرانه، وأن الجار الصالح هو من مقومات سعادة المرء في الدنيا.

وعلمنا أن الإحسان إلى الجيران ليس من طبع المؤمنين فقط، بل من طبع الآدميين حتى كان ذلك في الجاهلية كما يقول الطائي:

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٨).

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ ... وَإِلَيْهِ قَبْلِي تنزل الْقدر

ما ضَرَّ جَارًا لِي أُجَاوِرُهُ ... أَنْ لَا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ

وفي هذه الخطبة نتكلم بإذن الله تعالى عن القسم الثاني، فتعالوا معي عباد الله نتعلم كيف نظر الشرع إلى قضية عدم إيذاء الجار.

فقد منع الشرع الحنيف الإيذاء جملة واحدة في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وأغلظ القول على هؤلاء المؤذين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٥٨).

إن من صفات المسلم الحق عدم إيذاء إخوانه المسلمين، يقول النبي ﷺ: **(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)**[1]، وقد وضع الشرع قاعدة جليلة في هذا الأمر، ألا وهي: **"لا ضرر ولا ضرار"**، فحث الشرع الحنيف على الإحسان وإلا فعلى الأقل عدم الإيذاء، قال بعض السلف: **(إِنْ ضَعُفْتَ عَنْ ثَلَاثَةٍ؛ فَعَلَيْكَ بِثَلَاثٍ: إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الْخَيْرِ؛ فَأَمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْفَعَ النَّاسَ؛ فَأَمْسِكْ عَنْهُمْ ضُرَّكَ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ؛ فَلَا تَأْكُلْ لُحُومَ النَّاسِ)**[2].

وهذا المعنى أخذ من حديث أبي ذر رضي الله عنه حين قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: **(مَاذَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: "الْإِيمَانُ بِاللهِ" فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ، قَالَ: "أَنْ تَرْضَخَ مِمَّا خَوَّلَكَ اللهُ أَوْ تَرْضَخَ مِمَا رَزَقَكَ اللهُ" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَإِنْ كَانَ فَقِيرًا لَا يَجِدُ مَا يَرْضَخُ؟ قَالَ: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ" قُلْتُ: إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: "فَلْيُعِنِ الْأَخْرَقَ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَصْنَعَ؟ قَالَ: "فَلْيُعِنْ مَظْلُومًا" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ قَالَ: "مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ لِصَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ لِيُمْسِكْ أَذَاهُ عَنِ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤١).

[2] تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (١٦٦)، للسمرقندي رحمه الله.

النَّاسِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَعَلَ هَذَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُصِيبُ خَصْلَةً مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ")[1].

وقد أمر النبي ﷺ المسلمين أن يتعوذوا من جيران السوء كما يتعوذون من المسيح الدجال، فقال ﷺ: **(اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ جَارِ الْمُقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْمُسَافِرِ إِذَا شَاءَ أَنْ يُزَايِلَ زَايَلَ)**[2].

وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ أن إيذاء الجار يوجب لعن الله والناس، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: **(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاصْبِرْ، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ)**[3]، وفي رواية أن الرجل جاء إلى النبي ﷺ يشكو إليه لعن الناس، فَقَالَ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: وَمَا لَقِيتَهُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: يَلْعَنُونِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ لَعَنَكَ اللَّهُ قَبْلَ النَّاسِ)**[4].

ولهذا جعل الشرع الحنيف ضعف الإيمان مرتبطًا بالإيذاء وكذلك بالإحسان، يقول ﷺ: **(وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ)**[5]، وفي رواية: **(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: شَرُّهُ)**[6]، وفي رواية: **(الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)**[7].

---

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٣٠٥٧)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٨٧٦): حسن صحيح.

[2] أخرجه الحاكم رحمه الله في مستدركه (١٩٥٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٤٠).

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٥١٥٣)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٥١٥٣): حسن صحيح.

[4] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣٥٦)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٥٨): صحيح لغيره.

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠١٦).

[6] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٧٨٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٥٠).

[7] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٥١٠) صححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٤٩).

بعض الناس يتهاونون في حق الجار، فإذا سمعوا هذه الأحاديث الكثيرة؛ علموا أنهم قد غفلوا كثيرًا، فعليهم المبادرة لإصلاح ما فات، والتوقف عن الإيذاء، وتبديله إلى إحسان، لعل الله يعفو عما كان.

فإن كان الأمر كذلك، فهيا بنا عباد الله نتكلم عن بعض أنواع الإيذاء:

منها أن تمنعه من الاستفادة بشيء في مقدورك، كأن تمنعه من الاستفادة من مكان يضع فيه سيارته، أو تمنعه من استعمال الجدار الذي بينك وبينه، يقول ﷺ: (**لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ**)[1].

ومن الإيذاء الصوت المرتفع من التلفاز أو المذياع حتى إن كان القرآن، وكذلك مكبرات الصوت في الأفراح والمآتم، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ (**يَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ**)[2].

ومن الإيذاء كذلك ألا تصلح تسريب الماء الذي ينزل على جارك من عندك، وكذلك عدم دفع حق الماء أو كهرباء البيت أو المصعد أو ما إلى ذلك مما يضره، فيضطر أن يدفع هو، نعم سوف يأخذ منك حقه يوم القيامة لأنك ظالم، ولكنك قد آذيته في الدنيا.

وكذلك من إيذاء الجار فتح النوافذ التي تظهر عورات الجيران.

ومن أعظم الإيذاء للجار الزنا بامرأته، فقد جلس الرسول ﷺ فقال لأصحابه: (**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟ قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**)[3].

بل أغلظ النبي ﷺ في الوعيد عندما سأله عبد الله بن مسعود عن أعظم الذنوب فقال ﷺ: (**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٤٦٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠٩).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٠٥٥).

[3] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (٢٣٨٥٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٠٤٣).

تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ)[1].

فها هم أهل الجاهلية كانوا يحافظون على حرمات الجيران، بل أقول عباد الله: إننا منذ سنين قريبة كانت حرمة الجار عظيمة.

كل ذلك من إيذاء الجار، فاحفظ لجارك حرمته وكرامته قدر استطاعتك

وتأمل معي حال هؤلاء السادة مع جيرانهم وعدم إيذائهم لهم ومراعاتهم لحقهم:

فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **(رأى ولده عبد الرّحمن وهو يناصي**[2] **جارا له، فقال: لا تناص جارك، فإنّ هذا يبقى والنّاس يذهبون)**[3].

وجاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: **(إنّ لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيّق عليّ، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك؛ فأطع الله فيه)**[4].

وسُئل ابن المبارك رحمه الله: **(الرَّجُلُ يَأْتِينِي، فَيَشْكُو غُلامِي أَنَّهُ أَتَى إِلَيْهِ أَمْرًا، وَالْغُلامُ يُنْكِرُ ذَلِكَ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَضْرِبَهُ، وَلَعَلَّهُ بَرِيءٌ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَدَعَهُ، فَيَجِدَ عَلَيَّ جَارِي، فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: إِنَّ غُلامَكَ لَعَلَّهُ أَنْ يُحْدِثَ حَدَثًا يَسْتَوْجِبُ فِيهِ الأَدَبَ، فَاحْفَظْ عَلَيْهِ، فَإِذَا شَكَاهُ جَارُكَ، فَأَدِّبْهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَدَثِ، فَتَكُونَ قَدْ أَرَضَيْتَ جَارَكَ، وَأَدَّبْتَهُ عَلَى حَدَثِهِ)**[5].

وها هو الإمام أبو حنيفة رحمه الله: **(كان له جار يهودي، وكانت قصبة بيت خلائه تنضح على بيت أبي حنيفة فمكث عشر سنين، وهو يكنس كل يوم ما نزل في داره منها، ويذهب به إلى الكوم، ولم يعلم اليهودي قط، فبلغ ذلك اليهودي، فبكى، ثم جاء وأسلم)**[6]، وفي رواية أخرى للقصة: **(أن الإمام أبا حنيفة كان له جار يؤذيه، وفي يوم من الأيام لم يجد علامات الإيذاء التي تعود عليها، فسأل عن جاره، فقالوا: إنه في السجن،**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٥٢٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨٦).

[2] ناصى جاره، أي: أخذ بناصيته.

[3] إحياء علوم الدين (٢/٢١٤)، للغزالي رحمه الله.

[4] إحياء علوم الدين (٢/٢١٢)، للغزالي رحمه الله.

[5] مكارم الأخلاق (٢٤٣)، للخرائطي رحمه الله.

[6] لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (٧٩)، للشعراني رحمه الله.

فسأل عن السبب؟ فقالوا: سجنه الوالي لأمر ما، فذهب إلى الوالي وشفع عنده بأن يطلق هذا الشخص، ولم يعلم الجار بالذي شفع له، فجاءه أمر الإطلاق من السجن، فذهب يسأل لأي شيء أطلقت؟ فقالوا: جاء جارك فلان، وشفع فيك، وعفا عنك الوالي، قال: جاري فلان!! وتذكر إيذاءه له، وكيف قابل إساءته بالإحسان، فذهب يعتذر إليه، وعاهد الله ألا يؤذيه)[1].

(بلغ ابن المقفع أَنَّ جَارًا لَهُ يَبِيعُ دَارَهُ فِي دَيْنٍ رَكِبَهُ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ دَارِهِ، فَقَالَ: مَا قُمْتُ إِذًا بِحُرْمَةِ ظِلِّ دَارِهِ إِنْ بَاعَهَا مُعْدَمًا، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَمَنَ الدَّارِ، وَقَالَ: لا تبعها)[2].

انظروا عباد الله إلى حالنا وحالهم، وإلى تفريطنا في حق أقرب الناس إلينا.

آهٍ لنفس لا تعقل أمرها

ثم قد جهلت قَدْرَهَا

تُضَيِّعُ فِي الْمَعَاصِي عُمْرَهَا

وَأَقْبَحُ مِنْ قَبِيحِكَ أَنَّكَ تَتَعَمَّدُ

مَا هَذَا الأَمَلُ وَلَسْتَ بِمُخَلَّدٍ

يَا مَنْ شَابَ وَمَا تَابَ

هذا هو الحبل

حبل النجاة أما تصعد

---

[1] شرح الأربعين النووية (١٠/٣٩)، لعطية سالم رحمه الله.

[2] إحياء علوم الدين (٢١٣/٢)، للغزالي رحمه الله.